الليالى الطويلة

كم تطول علينا الليالي ونحن ننتظر. ننتظر الى مالانهاية. كلما ظننا أننا عثرنا على ما نتمنى ما نلبث أن نكتشف أنه سراب وأننا سننتظر مرة أخرى، كم يصير الليل داكن اللون حالك الإسمرار اذا شعرنا فيه بالوحدة .

السكون حولنا في كل مكان في كل طريق في كل روح بينما تزخر أرواحنا بآلاف المعاني، نسير خطوات وحدنا ولا نعثر على أحد ولكن هيهات أن نعثر على أنفسنا فما نفقده لا يعود، الشجون تتراكم والأحزان تتزاحم ولا ينجو الأمل من الملل والضباب الذى يملأ الطريق فيفقد الأمل مبتغاه ويغدو بلا بارقة نور تهديه ريثما يصل. وياليته سيصل في يوم من الأيام، حتى الدموع تقف على حافة المقل ولا تسقط، فهى تشعر بالأسى حقاً وهى أسيرة الى مالا نهاية.

قالت لي: ليست كل القصص يمكن أن تُحكى.

فقلت لها: بمعنى؟

هناك قصص تحدث وتنتهي ولم تغادر نفوسنا، تعلقت فيها أرواحنا بخيال ثم تبدلت الأحوال، فآثرنا أن تصبح سراً لا يذاع.

- مثل ماذا؟

- مثل القلب الذى يعاتبنا على أنّا استكثرنا عليه السعادة وفضلنا أن نسقي كبرياء العقل من دمائه، ذلك القلب الذي تعذب دائما حتى وهو يسعد كان يتعذب.

- أراك تقولين ألغازاً.

قالت: أبداً ليست الغازاً هى قصص القلوب المتعبة الواهنة التي ضجرت من ضعفها وظنت أن الموت لها حياة و أن من يربت عليها سوف يحميها وينهض بها بعيداً عن الآلام ثم ما لبثت أن تأكدت أنه وهم وأنه إنما يغوص بها في أعماق لا قبل لها بها.

- أظننى فهمت، يا ليت للقلوب عقل يعي ما تقبل عليه بإرادتها.